محاضرة : الأصول الفلسفية لتعليم الكبار

مقدمة :

من منظور علمي فإن تعليم الكبار يعتبر علما تربويا حديث البروز له بعد اجتماعي، وأهدافه مرتبطة بتقديم المعرفة والتدريبات المهارية والنمو الروحي والوجداني لكبار السن من جانب، وله ارتباط شديد الصلة بالمجتمع وفلسفته وثقافته وأهدافه من جانب أخر.

قدم الكثيرون من المفكرين والفلاسفة تصنيفات عديدة لفلسفة تعليم الكبار طبقا للمدارس الفلسفية التي سادت التربية العامة كالمثالية والواقعية والتقدمية،وتضمن ثلاثة اتجاهات فلسفية رئيسية في تعليم الكبار هي:

- الاتجاه الرومانسي الذي يؤكد ذاتية المتعلم الكبير من نمو وتربية وصحة وتغذية.

- اتجاه النقل الثقافي الذي يؤكد أن هدف تعليم الكبار هو نقل المعرفة والمهارات والقيم والاتجاهات.

- الاتجاه التقدمي الذي يؤكد ضرورة استخدام أسلوب حل المشكلة لتحسين حياة المتعلم الكبير في المجتمع الذي يعيش فيه .

إن الفلسفة البراجماتية تعد أكثر الفلسفات التطبيقية وضوحا في تحديد معالم تعليم الكبار، كما أنها تبين للمهتمين به مفاهيمه وأهدافه، فهذه الفلسفة ترى أن التغيير عملية مستمرة، فمن خلال عملية التغيير يستطيع الإنسان أن يجدد أفكاره، ويطوع مؤسساته الاجتماعية، بحيث تعمل هذه المؤسسات على تحقيق احتياجاته وإشباع رغباته المتجددة،وقد ركزت هذه الفلسفة على أهمية التربية في مجال التغيير الاجتماعي ويرى "لندمان" الذي يعكس آراء هذه الفلسفة حين يقول "إن تعليم الكبير يمكن أن يصبح عاملا في التغيير إذا أمكن تحقيق الانسجام بين أهدافه القصيرة الأجل مثل النمو الشخصي مع الأهداف الطويلة الأجل ألا وهي تغيير السلم الاجتماعي، وإن عملية تغيير الفرد والتي تسير جنبا إلى جنب مع عملية تغيير المجتمع هي الهدف النهائي لتعليم الكبار، ورأى آخرون أن النظرية التقدمية تعتبر فلسفة رئيسية في تعليم الكبار؛ لأنها تحدد أهداف تعليم الكبار من خلال علاقة المتعلم الكبير بالمجتمع الذي يعيش فيه".

من جانب آخر أن آراء هذه المدارس الفلسفية في تعليم الكبار قد تداخلت بشكل يصعب الفصل بينها واتبع تصنيفا لفلسفة تعليم الكبار طبقا لاتجاهات تدور حول أهداف أساسية وهي:

1- نظرية نمو العقل :

يتزعم كل من "باترسون و"ولوسون" هذه النظرية،ويرى أنصار هذا التوجه الفلسفي أن هدف تعليم الكبار هو اكتساب المعرفة لتكوين بنية العقل ونموه، وأن المعرفة ليست وسيلة لتحقيق أهداف وحل مشكلات مجتمعية، ولكنها تمثل هدفا في حد ذاتها، ولها قيمة جوهرية، ويطلق على هذا الاتجاه نمو العقل.

2- نظرية تحقيق ذات المتعلم :

ويعد كل من "ليندرمان "و "ماكيتزي " من رواد هذا التوجه وكذا أنصار المذهب الوجودي وتتجلى فكرة هذه النظرية من خلال اهتمامها بذاتية المتعلم الكبير، أي على شخصيته من جميع جوانبها على أساس أنها متكاملة، ويعتمد على فكرة أن الإنسان بطبيعته خير، وكلما نما هذا الخير في شخصيته عن طريق التربية ساعده على أن يكون أكثر حرية ووعيا بشخصيته وتوجيها لذاتيته، ويطلق على هذا الاتجاه تحقيق الذات.

3- نظرية التحول الاجتماعي :

يرى أنصار هذه المقاربة النظرية أن هدف تعليم الكبار هو التحول الاجتماعي بمـــعـــــــنى أن ينظر إلى تغيير المجتمع كمحور أساسي لتعليم الكبار ويتزعمه كل من "إيفان إليس " رائد فكرة مجتمع بلا مدارس و "رايمر" وغيرهما،ويدعو إلى أن تعليم الكبار يجب أن يحقق تغييرا في النظام الاجتماعي وإبداله بنظم أخرى جديدة،وبالتالي فإن تعليم الكبار من شأنه أن يُساعد على إحداث نقلة نوعية ملحوظة في الحياة الاجتماعية .

4- نظرية التحسين الاجتماعي والشخصي :

يتزعم "براودي" هذا الاتجاه التوفيقي حيث يتمحور حول فكرة أن المتعلم الكبير عضو في المجتمع وتوجد علاقات متبادلة بينهما ،ومن ثم فإن هدف تعليم الكبار هو خدمة كل من الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه ،وأن النمو الشخصي للكبير لا يتحقق إلا في وسط اجتماعي، ويطلق على هذا الاتجاه التحسين الشخصي والاجتماعي .

5- نظرية الفاعلية التنظيمية:

يرى أنصارهذه المقاربة الفسلفية من أمثال كل من "واطسن" و"نادلر" أن هدف تعليم الكبار يجب أن يحقق خدمة المؤسسة الإنتاجية التي يعمل بها الشخص الكبير، على أساس أن هذا العامل (الشخص) يمثل العنصر الرئيسي في عملية الإنتاج داخل المؤسسة أو المجتمع، وهدف هذا الاتجاه اقتصادي بحت؛ لأنه يركز أساسا على زيادة الإنتاج المادي للمؤسسة وتعليمه يزيد من إنتاجه، وبالتالي زيادة العائد المادي والربح ،وتعرف تلك النظرية باسم الفاعلية التنظيمية.

وبوجه عام ؛ فإن تعليم الكبار من الأمور الهامة والمفيدة جدًا في كافة المجتمعات للفرد وللمجتمع ، ولا يوجد أي تعارض بين أي من النظريات السابقة لأن تعليم الكبار في نهاية الأمر يصب في صالح ذات المتعلم ومجتمعه أيضًا ، لكن يتضح أن الاتجاه الرابع الذي يعتبر اتجاها توفيقيا يجمع بين الاتجاه الثاني الذي يتعلق بذاتية المتعلم الكبير وتنمية شخصيته من جميع جوانبها، وبين الاتجاه الثالث الذي ينظر إلى تغيير المجتمع كمحور أساسي لتعليم الكبار. وعلى هذا فإن الاتجاه الرابع هذا هو الأكثر توافقا وملاءمة لطبيعة المجتمعات العربية ونظامها القيمي المستمد من الشريعة الإسلامية التي تدعو الفرد إلى طلب العلم طوال حياته من أجل منفعة الآخرين.